﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ [الرّعد: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لا تأسَوا على ما فات، ولا تفرحوا بـما هـو آت، فـكـلٌّ بحكمة وقَدَر

لمّا كانت الحياةُ الدّنيا ومتاعُها ممّا يفتنُ النّاسَ ويُفسدُ عليهم فطرتهم، ويَحْجِبُ عنهم وجهَ الحَقّ، فيَضِلّ كثيرٌ منهم طريقَه إلى اللّه، جاء قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ مُنبّهًا هؤلاء الضّالّين المُتكالبين على الدّنيا، إلى أنّهم لا يملكون لأنفسهم شيئًا، وأنّ الأرزاق بيد اللّه سبحانَه، يبسطها لمن يشاء ويقبضها عن من يشاء[1].

ومِنَ المناسبة أيضًا: لمّا ذكرَ اللّه تعالى في الآية السّابقة صفاتِ النّاكثين عهدَهم مع اللّه بالكفر وما يتبعه مِن صفات سيّئة؛ كقطع كلّ ما أمر اللّه بوصله، والإفسادِ في الأرض، ثمّ ذَكَر جزاءَهم بأنّ لهم سوءَ الدّار، وكان الواقع أنّ كثيرًا مِن هؤلاء مُنَعّمون في الدّنيا برَغَد العيش وكَثْرة المال، ممّا قد التّساؤل عن حكمة ذلك: لماذا يرزقهم اللّه، مع ما هم فيه مِن كفر وفساد؟ تأتي هذه الآية لتنفيَ الرَّبط بينَ الجهتين، وتبيّنَ أنّ المسألة لا علاقة لها بالكفر والإيمان، وأنّ البسطَ في الرّزق والتّضييقَ فيه، راجعٌ إلى حكمةٍ عُليا تخفى علينا، ويعلمها اللّه، وتقرِّرُها مشيئتُه، وتنفِّذُها قُدرتُه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَبۡسُطُ﴾: أصل بَسَطَ يدلّ على امْتِدادِ الشَّيْءِ، في عِرَضٍ أوْ غَيْرِ عِرَضٍ. فالْبِساطُ: ما يُبْسَطُ، والبَساطُ: الْأَرْضُ، والبَسْطُ: النّشرُ والتّوسيع، فتارةً يتصوّر منه الأمران، وتارةً يتصوّر منه

(1) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/107.

أحدهما، فمِنَ البَسْط بمعنى النَّشر أن يقال: بَسَطَ الثّوب: نشره، ومنه: البِساط. ومِنَ البَسط بمعنى التّوسعة كلمة: البَساطُ للأرض الواسعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ [نوح: 19]، ومنه أيضًا بَسْطُ الرّزق، أي: توسعتُه، فقوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: يوسِّعُه(1).

2) ﴿وَيَقْدِرُۚ﴾: ضِدّ يَبْسُط، ومعناه: يُضَيّق ويُشَدِّد، يقال: قَدَرْتُ عليه الشّيءَ: ضَيّقتُه، كأنّما جَعَلْتُه بِقَدَر، بخِلاف ما وُصِفَ بغير حساب. قال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: 7] أي: ضُيّق عليه، ومنه أيضًا آية الرّعد: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾، وآيةُ الأنبياء: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87] أي: نُضَيّق عليه(2).

3) ﴿وَفَرِحُواْ﴾: الْفَرَحُ: خِلافُ الحُزْن، وهو انشراح الصّدر بلَذّة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللّذّات البَدنيّة الدّنيويّة، فلهذا قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ﴾ [الحديد: 23](3)، ويَرِد الفرحُ في القرآن الكريم أكثرَ ما يَرِد في مقام الذَّمّ؛ لما يتبعه مِن أشَرٍ أو بَطَر، ومنه قولُه تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: 76](4)، لكنّه ذُكِر في مقام المَدْح في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: 58].

4) ﴿مَتَٰعٌ﴾: المتاع: كلّ ما حصل التَّمَتُّع والانتفاع بِهِ على وجهٍ ما، وأصل (مَتَع) يَدُلُّ على مَنْفَعَةٍ وامْتِدادِ مُدَّةٍ في خَيْرٍ. وعَرّفَه الكَفَويُّ بأنّه: ما يُنْتَفَع بِهِ انتفاعًا قَليلًا غيرَ باقٍ؛ بل يَنْقَضي عَن قريب(5)، كالأشياء الّتي يستعملها الإنسانُ ثمّ تُسْتَهْلَك عن قريب؛ كالملابس والفُرُش ونحوِ هذا. ومُتْعَةُ الطَّلاق والحَجّ والنِّكاح كلُّها مِن ذَلِك؛ لأنّها تنقضي عمّا قريب، ولذلك يذكر القرآنُ متاعَ الدُّنيا مهما كان كثيرًا بوصف القليل، أي: في جانب متاع الآخرة، كقولِه سبحانه: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: 77]، وقولِه: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: 38] أي: هو في جنب الآخرة غيرُ مُعْتَدّ به(6). وعلى هذا جاء التَّصريحُ في

(1) الرّاغب، المفردات: (بسط).
(2) الرّاغب، المفردات: (قدر).
(3) الرّاغب، المفردات: (فرح).
(4) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 508.
(5) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 804.
(6) الرّاغب، المفردات: (متع).

آية الرّعد: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ أي: عَرَض زائلٌ سينتهي، فما قيمتُه بجانب متاع الآخرة الباقي أبدًا؟!.

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

حكمة بَسْطِ الرّزق وقَبْضِه، وبيانُ أنّ الدّنيا متاع، والآخرةَ خيرٌ وأبقى

تُقَرِّرُ الآيةُ الكريمة أنّ مسألة بَسْطِ الرّزقِ أو تَضْييقِه، إنّما يكون بحسب ما تقتضيه الحكمةُ الإلهيّةُ، فبمقتضاها يوَسّعُ اللّه الرّزق لِمَن يشاء مِن عباده، ويُضَيّق على مَن يشاء، فاليقينُ في هذه الحكمة يجب أن يَسْتَقِرّ إجمالًا في قلب المؤمن، أمّا تفصيلًا؛ فالأغلبُ فيه خفاءُ الحِكْمة عن العِباد، وعليه فربّما يَبْسُط اللّه الرّزقَ للكافر إملاءً واستدراجًا، وربّما يُضَيّقُه على المؤمن زيادةً لأجره ورِفعةً لقَدْره ومَكانته. وإذا كان الأمرُ كذلك، فلا يَغْتَرّ أحدٌ بَبَسْط رزقِ الكافر، ولا يَقْنَط بقَدْرِه على المؤمنُ، وليَثِقْ في حكمة اللّه العليا في ذلك.

وأمّا مَن يَفْرَحون بمتاع الحياة الدُّنيا، وبِبَسْط اللّه لهم في الرّزق، بحيث يأخذون منه دليلًا على عُلوّ مكانتِهم عند اللّه، ورِفْعَةِ شأنهم عنده، وانعدامه للآخرين؛ فليعلموا أنّه متاعٌ قليلٌ، وعَرَضٌ زائل، وليُفيقوا مِن وهْمِهم هذا.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيّ:

سرّ فصل هذه الآية عمّا قبلها:

شبه كمال الاتّصال بين الجملة وسابقتها، وأثره في الدّلالة

قوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾، جملة استئنافيّة، جاءت للجواب عن سؤال الحكمة النّاشىء مِن بَسْط الرّزق للكافرين، المُتّصفين بالصّفات المذكورة في الآية السّابقة، ولِتَبيين حِكْمةِ اللّه تعالى في بَسْط الرّزق وقَبْضه، وإزالةِ الرّواسب الكائنة في بعض العقول المُعَطَّلة، التي تَربط بينَ الصّلاح وعَدَمِه، بِبَسْط الرّزق وعَدَمِه.

دلالة تقديم المسنَد إليه ﴿ٱللَّـهُ﴾:

دلّ تقديمُ المسنَد إليه ﴿ٱللَّهُ﴾، على المُسْنَد ﴿يَبْسُطُ﴾، على

الاهتمام به وتقويَةِ الحُكْم وتأكيده[1]، وعلى حَصْر الرّزق في كونه مِنَ اللّه وحْدَه[2] لا غير، ردًّا على مَن يعتقدونَ أنَّ أرزاقهم بيد الخَلْق، لا بيد اللّه، ورَدًّا على مَن يستعبِدون ذَوي الحاجة، بإيهامهم أنّ أرزاقهم بأيديهم، فلا أحدَ يَبْسُط الرّزق للخَلْق ويَمْنَعُه عنهم - لحكمة يعلمها - إلّا اللّه تعالى.

مَلْمَحُ التّقديم والتّأخير في الجملة، وأثرُه في المعنى

دلالة التّعبير بالجملة الاسميّة:

دلّ التّعبيرُ بالجملة الاسميّة: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ﴾، على ثُبوت هذا الحكم، بأنّ اللّه تعالى هو الّذي: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾.

الحكم في البَسْط والقَبْض، ثابتٌ لله وحْدَه

بلاغة الاستعارة التّبعيّة:

في التّعبير بـ ﴿يَبْسُطُ﴾ هنا استعارةٌ تصريحيّة تبعيَّة عنِ الكثرة والتّوسِعَة.

مَن بسطَ الله له العطاءَ، عاش في سعة وهناء

سرّ اختيار الفعل ﴿يَبْسُطُ﴾ دون (يوسّع):

في اختيار الفعل: ﴿يَبْسُطُ﴾ دون (يوسّع) سرٌّ يكشف عنه معنى البَسْط، إذ هو يعني: السّعة والانتشار، فهو إذًا يتضمّن السّعةَ، وأوسع منها في الدّلالة.

في التّعبير بالبَسْط دلالةٌ على التّوسعة والانتشار

سرّ اختيار التّعبير بلفظ ﴿ٱلرِّزْقَ﴾ دون غيره:

في ترجيح اختيار التّعبير بالرّزق على غيره؛ لِما فيه مِن معنًى شموليٍّ لمطلق العطاء الجاري في الدّنيا والآخرة[3]، في السّماء كالمَطر، أوالأرض كالنّبات وسائرِ ما يتعيّش به الإنسانُ، وأيضًا لشموله لمُطلق العطاءِ الحِسّيّ، كإعطاء المالِ والوَلَدِ، والمعنويّ كالعلم.

التّعبير بالرّزق شامل لكلّ العطايا، مِن رَبّ البرايا

دلالة التّعبير باسم الموصول (مَنْ):

دلّ التّعبيرُ باسم الموصول (مَنْ)، في قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ على العموم، وعدم التّعيين، مقيّدًا بالمشيئة.

دلالة الموصول على العموم، وعدمِ التّعيين

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/140. ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/134.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/528.
(3) الرّاغب، المفردات: (رزق).

دلالة التّعبير بالمشيئة دون الإرادة:

المشيئة أخصّ، والإرادة أعمّ

أوثِرَ التّعبيرُ بالمشيئة في قوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ دون الإرادة؛ لأنّ المَشيئة مختصّة بالآنيِّ الحاضرِ دونَ غيره، والإرادةَ تتضمَّن ما تتضمنُه المشيئةُ وأوسعُ، فهي أعمُّ، والمَشيئةُ أخصُّ؛ مِن حيثُ إن الإرادة تشمل ما يتعلّق بالآن وغيره، أو بحسب تعبير العَسْكَريّ: "الإرادة تكون لما يتراخَى وقتُه ولما لا يتراخى، والمَشيئةُ لما لم يتراخَ"[1]، وعلى هذا، فمناسبة ترجيح اختيار المشيئة على الإرادة واضحة، وهي حَثّ الإنسان على المعاملة المناسبة مع مقدور الله الحالي، وعدمِ الرّكون إليه؛ لأنّه قد يَتغيّر، فالّذي بُسِطَ له في الرّزق عليه أن يسعى إلى المحافظة عليه بدوام الشُّكر، وأداءِ حقوق الله وحقوق العباد فيه، حَذَرًا مِن أن يتحوّل البَسْطُ إلى قَبْضٍ، والعطاءُ إلى مَنْع. والّذي قُدِرَ عليه رِزْقُه، يقابلُه بصبر ورِضًا، ودعاءٍ إلى الله تعالى، ورجاءٍ فيه، بأن يتحوّل هذا الضّيقُ إلى سعة، والمنعُ إلى عطاء ورخاء.

سرُّ التّعبير بقوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ دونَ (يُضَيّق):

التّعبير بـ (يقدر) دالّ على الضّيق الشّديد، وهو أنسب للمقابلة

اختير التّعبير بـ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ دونَ (يضيّق)؛ لأنّ المقصودَ الضّيقُ الشَّديدُ المَدلولُ عليه بـ ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ ليكون لافتًا للنّظر، وأوفقَ للمقابلة ببسط الرّزق، وليس المرادُ مطلقَ ما يُسَمّى ضيقًا، وإن لم يكن شديدًا، فهذا لا يلفت النّظرَ؛ لكونه ممّا يُطاق، ولِضَعْف مقابلته ببسط الرّزق، ولِكَثْرة المُتّصفين به مِنَ النّاس، فأكثرُ النّاسِ مِنَ الطّبقة المتوسّطة غيرِ الباذخة، وغيرِ شديدة الفقر.

دلالة حذف متعلّق ﴿وَيَقْدِرُ﴾:

حَـذْفُ المتعلّق اختصارًا للعِلْم به، مِـن فصيح البيان

في قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ حُذِفَ المُتعلّق اختصارًا للعِلْم به، لأنّ المعنى: أنّه يَبْسُط الرّزقَ لمَن يشاء، ويَقْدِرُه ويُضَيّقُه على مَن يشاء،

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 124.

وهذا مِن لازم المعنى، "لأنّه إذا وسّعه إذا شاء، لِزَمَ منه تضييقُه إذا لم يشأ"[1].

دلالة التّعبير بضمير الغَيبة في: ﴿وَفَرِحُواْ﴾:

التّنَدُّرُ بالكافرين واستهجانُهم؛ لانعدام فهمِهم

أوثرَ التّعبيرُ بضمير الغَيبة في قوله: ﴿وَفَرِحُواْ﴾، وهو في حَقّ الكافرين؛ استهجانًا لهم، وصَرفًا عن أن يوجّه لهم الخطابُ؛ لكونهم غيرَ مؤهّلين له. وفيه كذلك "إشارةٌ إلى أنّهم أقلّ مِن أن يفهموا هذه الدّقائقَ، لعنجَهية نفوسِهم، فَهُم فرحوا بما لهم في الحياة الدّنيا، وغَفِلوا عنِ الآخِرة"[2].

دلالة الواو، في: ﴿وَفَرِحُواْ﴾:

يقابلون النّعمةَ بكُفْرِها، وذلك مِن أقبح الكفر

الواو في قوله: ﴿وَفَرِحُواْ﴾ للاستئناف، والقَصْد بهذا الاستئناف: الإخبارُ عن سوء حالِهم بعدَ أن بَسَط الله لهم في الرّزق، حيثُ فَرِحوا به، وأشِروا، وبَطِروا، بَدلَ أن يشكروا ربّهم، ويُخْلِصوا له[3].

سرّ التّعبير بضمير الغائب، في: ﴿وَفَرِحُواْ﴾:

عـدمُ أهليَّتِهم للخطاب، ولا لمعرفة الصّواب

في قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ﴾ عبّر عنهم بضمير الغائب؛ تحقيرًا لهم، لكونهم ليسوا أهلًا للخِطاب، وكونهم مِنَ الغباء بمكان، بحيث لا يفهمون حكمةَ الله في بَسْط الرّزق وقَبْضه، كما أنّهم لا يأخذون منه عبرةً تهديهم إلى الله وتَرُدُّهم إليه، لا ما تلبَّسوا به مِن كُفْرٍ وعنادٍ ومُكابَرةٍ.

بلاغة المجاز المُرسل:

الاحـتراس وسِرّ تعلّق فرحهم بالحياة الدّنيا

في قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، كونُ الفرحِ متّجهًا إلى

(1) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي: 5/236.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/134.

(3) قال السّمين في الدّر المصون: 7/46: "وقيل: بل هو عطفٌ على صلةِ (الذين) قبلَه، وفيه نظرٌ: مِن حيث الفصلُ بين أبعاضِ الصّلةِ بالخبر، وأيضًا فإنَّ هذا ماضٍ وما قبلَه مستقبلٌ، ولا بدّ مِنَ التّوافق في الزّمان، إلّا أن يُقال: المقصودُ استمرارُهم بذلك، وإنَّ الماضي متى وقع صِلةً، صَلَحَ للمُضي والاستقبال".

الحياة الدّنيا مجازٌ مرسلٌ عن بَسْط الرّزق؛ لأنّ الفَرح ببسط الرّزق في الحياة الدّنيا، وليس بها، أي: أنّ (الحياة الدّنيا) مجازٌ مرسل، علاقتُه المَحَلّيّة، على اعتبار أنّ بَسْطَ الرّزق كائنٌ فيها، ودَلّ تعلّقُ فرحِهم بالحياة الدّنيا على الاحتراس، ودَفْعِ توهّمِ أنّ فرحَهم كان لغرض دينيّ أو أُخرويّ.

دلالة أسلوب القصر، في الاستثناء المُفَرّغ:

نعيم الحياة الدّنيا ليس إلّا متاعًا زائلًا، وسرابًا خُلّبًا

أسلوبُ القَصْر في قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾، دالٌّ على قَصْر نعيم الحياة الدّنيا، على كونه متاعًا، أي: قليلًا زائلًا. والهدفُ: قياس قيمةِ الحياة الدّنيا ونعيمِها، وسُرعةِ زوالِها وزوالِه، بنعيم الدّارِ الآخِرَة الدّائم أبدًا، لينْتُجَ أنّ الحياة الدّنيا بما فيها "كعُجالةِ الرّاكب، وزادِ الرّاعي، يُزَوِّدُه أهلُه الكَفَّ مِنَ التّمر، أو الشّيءَ مِنَ الدّقيق، أو نحوِ ذلك"[1]، وهذا المعنى قد جسّده النّبيُّ ﷺ، بقوله: «ما لي وللدُّنْيا، ما أنا في الدُّنْيا إلّا كَراكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ راحَ وتَرَكَها»[2].

سرُّ التّعبير بـ ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، ومقايستها بالدّنيا:

دلالة (في) على الظرفيّة المجازيّة، ودلالتها في السّياق

في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾، دلّت ﴿فِى﴾ على الظّرفية المَجازيّة؛ لأنّها أفادت معنى المقايسة، وعندما يُقاس شيءٌ بشيء، إنّما يوضَع بجواره. والمعنى: ما الحياة الدّنيا جنبَ الآخرة إذا قيست بها إلّا متاعٌ قليل، أو إذا نسبت أحوال الحياة الدّنيا بأحوال الآخرة، ظهر أنّ أحوالَ الدّنيا متاعٌ قليل[3].

سرُّ التّعبير بالإظهار دون الإضمار:

تحقير الحياةِ الدّنيا، وتهوينُ أمرِها ومصيرِها

السِّرّ في وضع المُظْهَر موضعَ المُضْمَر في قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/140.

(2) أخرجه الترمذيّ في سننه، برقم: (2377)، وقال: حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، وابن ماجه في سننه، برقم: (4109).

(3) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي: 5/236، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/135.

بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾، ولم يقل: (وما هي في الآخرة إلّا متاع)؛ هو التّحقيرُ والإهانة، بإظهار اسم الحياة الدّنيا، في موضعٍ كان الأنسبُ فيه هو الإضمار؛ لقُرْبِ ذِكْرِ اسمِها، تمامًا كما في قوله تعالى: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [النّور: 21].

سر اختيار التّعبير بقوله: ﴿مَتَٰعٞ﴾:

لفظ المتاع أدلّ على معنى القِلّة مِن غيره

أوثِرَ التّعبيرُ بالمتاع دونَ غيره لدلالته على معنى القلّة، وعلى الزّوال السّريع عَقِبَ التَّنعُّم به، فالمتاعُ: اسم لما يقع بهِ الانتفاعُ في العاجل. وأصله: التَّمتُّع، وهو التَّلذُّذ بالأمر الحاضر[1]، بخِلاف لفظِ النّعيم مثلًا، فهو دالّ فقط على حالة التّنعُّم دونما زيادةٍ على ذلك، يعني: قد يَطول وقد يَقْصُر، والأغلب أنّه دالّ على ما يكون طويلًا، ومِن ثَمّ أُطْلِق على ما يكون في الآخرة (نعيم)، وعلى ما يكون في الدّنيا (متاع).

سرّ تنكير ﴿مَتَٰعٞ﴾:

ورود التّنكير، بغرض التّقليل والتّحقير

دلّ تنكيرُ قوله: ﴿إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ على التّقليل مِن متاع الحياة الدّنيا وتحقيره، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [آل عمران: 196 - 197][2].

المتشابهُ اللّفظيّ:

اختلاف المباني، وأثره في اختلاف المعاني

تشابه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الإسراء: 30]، وقوله تعالى: ﴿وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾ [القصص: 82]، ومع قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ [العنكبوت: 62]، ومع قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/33.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/135.

لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سبأ: 36]، وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥ﴾ [سبأ: 39]، ومع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الرّوم: 37]، ومع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الزمر: 52]، وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الشّورى: 12].

والنّاظر في هذه الآيات الكريمات يجد اتفاقًا واختلافًا بينها، ومن مواضع الاتفاق اختصاص هذه السّورة بلفظ الجلالة ومعها سورة القصص والعنكبوت والرّوم والزّمر، وذلك من باب التّوافق والتّناسق في سياق هذه السّور، حيث تَكَرّر لفظُ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ لتقدّم ذكره في هذه السّور، أما السّور التي ورد فيها لفظ الرَّب فجاء مناسبًا لتقدّم تَكَرّر ذِكْر لفظِ الرَّبّ فيها.

وممّا ورد في أمر الزّيادة، قوله تعالى: ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ و﴿لَهُۥ﴾ فجاءت في سورة العنكبوت موافقة لمقام بسط الكلام على الرّزق المذكور فيها صريحًا، وزاد في سورة القصص: ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [القصص: 82] موافقة لذلك، وإن كان لفظ الرّزق فيها ضمنًا، وزاد ﴿لَهُۥ﴾ [سبأ: 39] في الموضع الثّاني مِن سورة سبأ؛ لأنّه نزل في المؤمنين، وما قبلَه في الكافرين.

وخلاصَةُ القولِ في أسرار التّشابه في هذا الموضع، تظهر في هذه الفروق:

الفرق الأوّل: اسم الجلالة: فقد ورد هكذا باسم ﴿ٱللَّهُ﴾ في السّوَر التي تكرّر فيها من بدايتها اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ مثل سور: [الرّعد: 26، القصص: 82، الرّوم: 37، الزّمر: 52]، وورد باسم الرّب في السّور التّي تكرّر فيها من بدايتها اسم (الرّب)، مثل سور [الإسراء: 30، سبأ: 36، 39][1].

الفرق الثّاني: قوله تعالى: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ ورد التّركيب نفسه بصيَغ أخرى مثل: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ﴾ [القصص: 82]، ومثل: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: 62].

وذلك لأنّ أحوال النّاس في الرّزق ثلاثة:

الأوّل: مَن يُبسَط رِزقُه تارةً ويضيَّق عليه أخرى، وهو يُفهَم مِن آية العنكبوت بقوله ﷻ:

(1) زكريا الأنصاريّ، فتح الرّحمن: 1/287.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: 62] بزيادة ﴿لَهُۥٓ﴾؛ لتقدّم قوله ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: 60]، ثمّ فصَّل حالَهم في بسطه تارةً، وقبضه تارةً.

والثّاني: أن يوسَّع على قوم مطلقًا، ويُضيَّق على قوم مطلقًا، ويُفهَم من آية القصص: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ﴾ [القصص: 82]، وذلك أنّه قد تقدّمها قِصةُ قارون؛ فناسبَه التّعبير بأنّه يبسط الرّزق لمَن يشاء مطلقًا لا لكرامته، حتّى ولو كان قارون، ويقبضُه لمَن يشاء لا لهوانه، كالفقراء من الأنبياء صلوات الله وسلامُه عليهم.

والثّالث: الإطلاق من غير تعيين بَسْطٍ ولا قَبْض، فأُطْلِقَ مِن غير ذِكْر (عباد)، وهذا القسم تناسبُه بقيّة الآيات، بما فيها مِن إطلاق من غير تعيين، وبما يشمل الآدميّين وغيرهم[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

الفرح والحبور والسّرور:

أكثر ذِكْر الفرح في القرآن في مقام الذّمّ، بخلاف غيره

يتقاربُ دلاليًّا كلٌّ مِنَ السُّرور والحُبور والفَرَح، فكُلّ لفظٍ منها دالٌّ على لَذَّةٍ تحصُل في القلب عِنْد حُصول نفعٍ، أو توقّعِه، أو اندفاع ضَرَر، ويُفَرّق بين ثلاثتها: بأنّ السُّرور هو الخالِص المُنكَتِم، والحُبور: هو ما يُرَى حِبْرُه - أي: أثره - في ظاهر البَشرَة، وهما مستعملان في المَحْمود، ويكونانِ عَنِ القوّة الفكريّة. وأمّا الفَرَحُ فإنّه يكون عَنِ القوّة الشّهوانيّة. ويُعَرّف بأنّه: انشراحُ الصّدر بلَذّة عاجلة، وأكثرُ ما يكون ذلك في اللّذّات البَدنيّة الدّنيويّة، ولذلك فإنّه كثيرًا ما يورث أشرًا أو بَطَرًا؛ ولذَلِك كثيرًا ما يُذَمّ في القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ

(1) داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 540.

ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ [القصص: 76][1]، لكنّه ذُكِر في مقام المَدح في قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: 58].

والنّاظر في آيات القرآن الكريم يجد استعمالَه لهذه الألفاظِ؛ فكلمةُ الحُبور جاءت في قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: 15]، وقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: 70]، والمعنى: تُكْرَمون إكرامًا يُبالَغ فيه؛ فالحُبور إذًا يجمع المَسارَّ كلَّها، مِن حُسْن وجَمالٍ وسُرورٍ ولَذّةٍ ونِعْمَةٍ، مع ظهور آثارِ ذلك في الوجوه، وعلى هذا: فالقرآن الكريم جمع للمؤمنين في الجنّة كلَّ أنواع النّعيم.

وأمّا السّرور فاستُعْمِل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: 7 - 9]، فلفظُ السُّرور جاء في سياق وصْف حالِ المؤمنين يومَ القيامة، في مقابل حالِ الفُجّار، وعلى هذا: فالسُّرور يَخْتَصّ بالقلوب، فهو فَرَحٌ خالصٌ خَفي، يظهَرُ أثرُه بِشْرًا وحُبورًا.

وأمّا الفرحُ: فاستُعْمِل في مواضع عديدة مِنَ القرآن، كلُّها في مواضع الذَّمّ لارتباطه باللّذّة العاجلة، ولِمُصاحبته للبَطَر في الغالب؛ إلّا في مواضع عديدة، منها قولُه تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران: 170] الآية، وقولُه: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: 58]، وقولُه: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: 4 - 5]، ففي هذه المواضع الفَرَحُ فيها محمود؛ لأنّه مِن رحمة اللّه وفَضْله، ونَصْره للمؤمنين[2].

(1) الرّاغب، المفردات: (فرح)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 508.

(2) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 133.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»